

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ٦٩ - سورة الحاقة

مكية . وآياتها إحدى وخمسون .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (الْحَاقَّةُ)

[٢] (مَا الْحَاقَّةُ)

[٣] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ)

« الْحَاقَّةُ » أى الساعة الحاقة التى تحق فيها الأمور ، ويجب فيها الجزاء على الأعمال . من قولهم : حق عليه الشيء ، إذا وجب . وقوله : « مَا الْحَاقَّةُ » من وضع الظاهر موضع المضمرة ، تفخيماً لشأنها ، وتعظيماً لهولها . « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ » قال بمضمم : من عوائد العرب فى محاوراتهم اللطيفة ، إذا أرادوا تشويق المخاطب فى معرفة شىء ودرايته ، أتوا بإجمال وتفصيل . أى : أى شىء أعلم المخاطب ماهى ؟ تأكيداً للتفخيم شأنها ، حتى كأنها خرجت عن دائرة علم المخاطب . على معنى : أن عظم شأنها ، وما اشتملت عليه من الأوصاف ، مما لم تبلغه دراية أحد من المخاطبين ، ولم تصل إليه معرفة أحد من السامعين ، ولا أدركه وهمه ، وكيفما قدر حلماً ، فهى وراء ذلك وأعظم . ومنه يعلم أن الاستفهام كناية عن لازمه ، من أنها لاتعلم ، ولا يصل إليها دراية دارٍ ، ولا تبلغها الأفكار .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤] (كَذَّبَتْ مَمُودٌ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ)

[٥] (فَأَمَّا مَمُودٌ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاعِيَةِ)

[٦] (وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ طَائِيَةٍ)

[٧] (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا

صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)

[٨] (فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ)

« كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ » أى بالساعة التى تفرع الناس بأهوالها وهجومها عليهم،

قال الزمخشري: ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع فى الحاقة، زيادة فى وصف

شدتها. ولما ذكرها ونغمها، أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها، وما حل بهم بسبب

التكذيب، تذكيراً لأهل مكة، وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم.

« فَأَمَّا ثَمُودُ » وهم قوم صالح عليه السلام « فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ » أى بالواقعة المجاوزة

للحد فى الشدة، أو بطغيانهم. و (الطاغية) مصدر كالعافية.

« وَأَمَّا عَادُ » وهم قوم هود عليه السلام « فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ » أى: شديدة

المصوف والبرد « عَاتِيَةٍ » أى: متجاوزة الحد المعروف فى الهبوب والبرودة.

« سَخَّرَهَا » أى: سلطها « عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا » أى متتابعات

من (حسمت الدابة)، إذا تابعت بين كئيبها. شبه تتابع الريح المستأصلة بتتابع السكى القاطع

للداء. أو معناه: نحسات، حسمت كل خير واستأصلته. أو قاطعات، قطعت دابرهم. هذا

على أن (حُسُومًا) جمع حاسم، كشهود وقمود. فإن كان مصدراً فنصبه بمضمر. أى تحسم

حسوماً، أو بأنه مفعول له. أى سخرها عليهم للحسوم، أى الاستئصال. وقد قيل: إن تلك

الأيام هى أيام العجز. والعامية تقول: (العجوز) وهى التى تكون فى عجز الشتاء، أى آخره.

« فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغِي » أى هلكت، جمع صريع « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

خَاوِيَةٍ » أى ساقطة مجتمعة من أصولها كآية<sup>(١)</sup>: (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)

« فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ » أى: بقاء. أو نفس باقية، أو بقية.

(١) [٥٤ / القمر / ٢٠].

القول في تأويل قوله تعالى :

[ ٩ ] ( وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ )

[ ١٠ ] ( فَمَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً )

[ ١١ ] ( إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ )

[ ١٢ ] ( لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أذُنٌ وَعَيْةٌ )

« وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ » أى : من الأمم المكذبة ، كقوم نوح وعاد وثمود  
 « وَالْمُؤْتَفِكْتُ » وهى قرى قوم لوط « بِالْخَطِئَةِ » أى : بالخطأ ، أو الأفعال الخاطئة ،  
 على المجازى النسبة . « فَمَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً » أى : زائدة فى الشدة .  
 « إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ » أى : كثر وتجاوز حده المعروف ، بسبب إصرار قوم نوح على الكفر  
 والمعاصى ، وتكذيبه ، عليه السلام « حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ » أى السفينة التى تجرى فى الماء .  
 قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : خاطب الذين نزل فيهم القرآن ، وإنما حمل أجدادهم نوحاً وولده ، لأن  
 الذين خوطبوا بذلك ، ولد الذين حملوا فى الجارية ، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد ،  
 حملاً لذريتهم .

« لِنَجْعَلَهَا » أى تلك الفعل التى هى إنجاء المؤمنين ، وإغراق الكافرين « لَكُمْ  
 تَذْكِرَةً » أى : آية وعبرة تذكرون بها صدق وعده فى نصر رسله ، وتدمير أعدائه .  
 « وَتَعِيهَا » أى تحفظها « أذُنٌ وَعَيْةٌ » أى حافظة لما سمعت عن الله ، متفكرة فيه .

(١) انظر الصفحة رقم ٥٥ من الجزء التاسع والعشرين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

- [١٣] (فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ)  
 [١٤] (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً)  
 [١٥] (فِيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)  
 [١٦] (وَأُنشِقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ)  
 [١٧] (وَأَلْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ)  
 « فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ » أى : لخراب العالم .

قال أبو السعود : هذا شروع في بيان نفس الحاقة ، وكيفية وقوعها ، إثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها .

« وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً » أى : رفعتا وضربتتا ببعضهما من شدة الزلازل . وفي توصيفها بالوحدة تعظيم لها ، وإشعار بأن المؤثر لذلك الأرض والجبال وخراب العالم ، هي وحدها ، غير محتاجة إلى أخرى .

« فِيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ » أى : نزلت النازلة ، وهي القيامة .  
 « وَأُنشِقَّتِ السَّمَاءُ » أى : انصدعت « فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ » متمزقة .  
 « وَأَلْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا » أى : جوانبها وأطرافها حين تشقق . « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ » أى : فوق الملائكة الذين هم على أرجائها « يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ » أى : من الملائكة أو من صفوفها .

قال ابن كثير : يحتمل أن يكون المراد بهذا العرش (العرش العظيم) ، أو العرش الذى يوضع في الأرض يوم القيامة ، لفصل القضاء ، - والله أعلم - انتهى .  
 ومثله ، من الغيوب التى يؤمن بها ، ولا يجب اكتنائها . وتقدم في سورة الأعراف ،

في تفسير آية (١) (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) كلام لبعض علماء الفلك على هذه الآية، فتذكره .  
 وذهب بعض منهم إلى أن المراد بالعرش ملكة تعالى للسموات والأرض ، وبـ (الثمانية)  
 السموات السبع والأرض . وعبارته : (وَيَحْمِلُ) بالجذب (عَرْشَ رَبِّكَ) أى : ملك  
 ربك للأرض والسموات (فَوَقَّهْمُ يَوْمَئِذٍ) أى : فوق الملائكة الذين هم على أرجائها  
 يوم القيامة ، (تَمَكِّنِيَةً) أى : السموات السبع والأرض .

قال : وهذا يدل على أن (السبع) ليس للكثرة ، بل المراد به الحقيقة . فهم ثمانية  
 يحملون العرش ، أى : ملك الأرض والسموات السبع بالجذب ، كما هو حاصل اليوم .  
 ولكن ذلك يكون بشكل عظيم جدًا .

ثم قال : ولا وجه لمعترض يقول : إن حملة العرش مسبحة ، لقوله تعالى (٢) : (الَّذِينَ  
 يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ وَسُبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) فكيف تسبح السموات والأرض؟  
 لأنه يجب بقوله تعالى (٣) : (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٨] (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)

[١٩] (فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَوْلَئِىَ كِتَابِيهِ)

[٢٠] (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ)

[٢١] (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)

[٢٢] (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)

[٢٣] (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)

[٢٤] (كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهَنِيئًا بِمَا آسَلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)

(١) [٧ / الأعراف / ٥٤] . (٢) [٤٠ / غافر / ٧] . (٣) [١٧ / الإسراء / ٤٤] .

« يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ » أى : على ربكم للحساب والمجازاة « لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ »  
أى سريرة كانت تخفى في الدنيا بستر الله .

« فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبِئْمِينِهِ » أى : علامة لنفوزه « فَيَقُولُ هَآؤُمُ أَقْرَبُوا  
كِتَابِي » أى : تمالوا ، أوخذوا . والهاء للسكت ، لا ضمير غيبة .

قال الشهاب : فحفظها أن تحذف وصلا ، وثبتت وقفاً ، لتصان حركة الموقوف عليه ،  
فإذا وصل استغنى عنها . ومنهم من أثبتها فى الوصل لإجرائه مجرى الوقف ، أو لأنه وصل  
بنيّة الوقف . وإثباتها وصلاً قراءة صحيحة ، ولا يلتفت لقول بعض النحاة : إنها لحن .

« إِنِّي ظَنَنْتُ » أى : علمت « أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيهِ » أى جزأى يوم القيامة . أى :  
فأعددت له عدته من الإيمان والعمل الصالح .

« فَهَوَّ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ » أى : ذات رضا ، ملتبسة به ، فيكون بمعنى ( مرضية ) .  
أو الأصل : راض صاحبها ، فأسند الرضا إليها ، لجعلها ، لخلوصها عن الشوائب ، كأنها  
نفسها راضية مجازاً . ويجوز أن يكون فيه استعارة مكنية وتخييلية ، كما فصل فى ( المطول ) .  
« فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ \* قُطُوفُهَا » جمع قُطْف بكسر القاف ، وهو ما يقطف من ثمرها  
« دَانِيَةٌ » أى قريبة سهلة التناول .

« كُلُوا » أى : يقال لهم كلوا « وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ »  
أى : الماضية فى الحياة الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقْرُلْ يُبْلِغْتَنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيهِ )

[٢٦] (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ )

[٢٧] (يَلِيَّتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ )

[٢٨] (مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ )

[٢٩] هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ°

[٣٠] خُذُوهُ فَغُلُّوهُ°

[٣١] مُنَّمِ الْجَجِيمِ صَلْوُهُ°

[٣٢] مُنَّمِ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ°

[٣٣] إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ°

[٣٤] وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ°

[٣٥] فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ°

[٣٦] وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَسِيلِينَ°

[٣٧] لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ°

« وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبِشْمَالِهِ فَيَقُولُ « أَي : عندما يلاق العذاب « يَلِيْتَنِي

لَمْ أُوْتِ كِتَابِيهِ \* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ » أَي : أى شيء حسابي .

« يَلِيْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ » قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : أى ياليت الموتة التى مئها فى الدنيا

كانت هى الفراغ من كل ما بعدها ، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث . و (القضاء) هو الفراغ .

وقيل : إنه تمنى الموت الذى يقضى عليه ، فتخرج منه نفسه .

« مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهُ » أَي : ما دفع من عذاب الله شيئاً .

« هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ » أى ملكى وتسلطى على الناس . أو حجتى ، فلا حجة لى

أحتج بها .

« خُذُوهُ » أَي : يقال لخزنة النار : خذوه بالقهر والشدة « فغُلُّوهُ » أَي : ضموا يده

إلى عنقه ، إذ لم يشكر ما ملكته .

(١) انظر الصفحة رقم ٦٢ من الجزء التاسع والعشرين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

« ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ » أى : أدخلوه ليصلى فيها ، لأنه لم يشكر شيئاً من النعم ، فأذيقوه شدائد النقم .

ثم في سلسلة « أى حلقة منتظمة بأخرى ، وهى بثالثة ، وهم جرا .  
« ذَرَعَمَا » أى : مقدارها « سَبْمُونَ ذِرَاعًا فَأَسْلُكُوهُ » فأدخلوه فيها . أى : لقوه بها ، بحيث يكون فيما بين حلقها مرهقاً ، لا يقدر على حركة .

قال القاشانى : والسبعون فى العرف عبارة عن الكثرة غير المحصورة ، لا العدد المعين ثم علل استحقاقه ذلك ، على طريقة الاستثناف ، بقوله : « إِنَّهُ وَكَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ » أى : المستحق للعظمة وحده ، بل كان يشرك معه الجداد المهين .

« وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ » أى : إطعامه ، فضلاً عن بذله ، لتناهى شحه .  
« فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ » أى : قريب تأخذه الحمية له .

« وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ » أى : من غسالة أهل النار وصديدهم .  
قال ابن جرير (١) : كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : كل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو (غسلين) - فعلين - من الغسل من الجراح والدبر ، وزيد فيه الياء والنون بمنزلة عفرين .

« لَا يَأْكُلُهُوْ إِلَّا الْخَاطِئُونَ » أى . الآثمون ، أصحاب الخطايا . يقال : خطى الرجل ، إذا تعمد الخطأ . قال الرازى : الطعام ما هيى للأكل . فلما هيى الصديد لياً كله أهل النار كان طعاماً لهم . ويجوز أن يكون المعنى أن ذلك أقيم مقام الطعام ، فسمى طعاماً . كما قال (٢) :

\* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيحٌ \*

(١) انظر الصفحة رقم ٦٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) صدره : \* وخيلٍ قد دَلَقَتْ لها بخيلٍ \*

وقائله عمرو بن معدى كَرَبَ (نوادير أبى زيد ص ١٤٩) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٨] ( فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ )

[٣٩] ( وَمَا لَا تَبْصِرُونَ )

[٤٠] ( إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ )

[٤١] ( وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ )

[٤٢] ( وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ، قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ )

[٤٣] ( تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ )

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ \* وَمَا لَا تَبْصِرُونَ » أى : بالمشاهدات والغيبيات . وهذا القسم - كما قال الرازى - يعم جميع الأشياء على الشمول ، لأنها لا تخرج من قسمين : مبصر وغير مبصر ، فشمّل الخالق والخلق ، والدنيا والآخرة ، والعالم العلوى والسفلى ، وهكذا . وتقدم فى ( الواقعة ) الكلام على كلمة ( لا أقسم ) فتذكر .

« إِنَّهُ » أى : القرآن « لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » وهو محمد ﷺ ، يبلغه عن الله تعالى ، لأن الرسول لا يبلغ عن نفسه .

« وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ » أى : كما تزعمون ، فإن بين أسلوبه وحقائقه ، وبين وزن الشعلة وخيالاته ، بعد المشرقين .

« قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ » . تصدقون بما ظهر صدقه وبرهانه ، عناداً وعتوًّا . والقلة كناية عن النفي والعدم . ونصب ( قَلِيلًا ) على أنه نعت لمصدر ، أو زمان مقدر . أى إيماناً وزماناً . والناصب ( تُوْمِنُونَ ) أو ( تَذَكَّرُونَ ) . و ( مَا ) زائدة - هذا ما قاله ابن عادل - وقال ابن عطية : يحتمل أن تكون نافية ومصدرية .

« وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ » أى كما تدعون أخرى بأنه من سجع الكهان « قَلِيلًا »

مَا تَذَكَّرُونَ» أى تمعظون وتعتبرون . قيل : نفي الإيمان فى الأول ، والذكرى فى الثانى ، لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين ، لا ينكره إلا معاند . فلا عذر لقائله فى ترك الإيمان ، وهو أ كفر من حمار . وأما مباينته للكهانة ، فيتوقف على تذكرة ما ، لأن الكاهن يأخذ جُملاً ، ويحجب عما سئل عنه ، ويتكلف السجع ، ويكذب كثيراً ، وإن التبس على الحق لإخباره عن بعض المقيبات بكلام منشور ، فتأمل .

« تَنْزِيلٌ » أى هو تنزيل « مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » أى ممن ربهم بصنوف نعمه ، ومنها ما نزله وأوحاه ليهتدوا به إلى سبيل السعادة ، ومناهج الفلاح .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٤] ( وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ )

[٤٥] ( لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ )

[٤٦] ( ثُمَّ لَقَطَمْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ )

[٤٧] ( فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ )

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ » أى افترى علينا . وسى الكذب تقوُّلاً ، لأنه قول متكلف ، كما تشعر به صيغة التفعّل . و ( الْأَقَاوِيلِ ) إما جمع ( قول ) على غير القياس ، أو جمع الجمع كالأناعم ، جمع أقوال وأنعام . قيل : تسمية الأقوال المفتراة ( أقاويل ) تحقيراً لها ، كأنها جمع أفعولة من القول ، كالأضاحيك .

« لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَمْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ » قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : أى لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة ، ثم لقطمنا منه نياط القلب . وإنما يعنى بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة ، ولا يؤخره بها . وقد قيل : إن معنى قوله ( لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ) لأخذنا منه باليد اليمنى

(١) انظر الصفحة رقم ٦٦ من الجزء التاسع والعشرين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

من يديه . قال : وإنما ذلك كقول ذى السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه : خذ بيده ، فأقنه ، وافعل به كذا وكذا : قالوا : وكذلك معنى قوله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) أى لَأَهْتَأَهُ . كالذى يفعل بالذى وصفنا حاله . انتهى .

وقال الزمخشريّ : المعنى لو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً ، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم ، معاملة بالسخط والانتقام . فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده ، وتضرب رقبته . وخص اليمين عن اليسار ، لأن القاتل إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره ، وإذا أراد أن يوقعه في جيده ، وأن يكفحه بالسيف ، وهو أشد على المصبور ، لنظره إلى السيف ، أخذ بيمينه . فعنى (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) لأخذنا بيمينه . كما أن قوله (لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) لقطعنا وتينه ، وهذا بين . انتهى .

وما قرره الزمخشريّ أبلغ في المراد ، وهو بيان المعاقبة بأشد العقوبة ، إذ على الأول يفوت التصوير والتفصيل والإجمال ، لأن قوله (بِالْيَمِينِ) بعد (لَأَخَذْنَا مِنْهُ) بيان بعد الإبهام ، ويصير قوله (مِنْهُ) زائداً من غير فائدة ، ويرتكب المجاز من غير فائدة أيضاً - كما في (العناية) - .

« فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » أى ليس أحد منكم يحجزنا عنه ، ويحول بيننا وبين عقوبته ، لو تقوّل علينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤٨] (وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ لِلْمُتَّقِينَ)

[٤٩] (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ)

[٥٠] (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)

[٥١] (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ)

[٥٢] (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)

« وَإِنَّهُ » أى القرآن « لَتَذَكُّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » أى عظة لمن يتقى عقاب الله بالإيمان به وحده ، وما نزل من عنده . « وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ » أى له ، إشاراً للدنيا والهوى . أى فنجازيكم على إعراضكم . « وَإِنَّهُ وَلِحَسْرَةٍ عَلَى الْكٰفِرِينَ » أى ندامة عليهم ، إذا رأوا ثواب المؤمنين به . « وَإِنَّهُ وَلِحَقِّ الْيَقِينِ » أى للحق اليقين الذى لا ريب فيه . « فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » أى دُم على ذكر اسمه ، وادأب على الدعوة إليه وحده ، وإلى ما أوحاه إليك . فالماقبة لك ، ولن اتبعك من المؤمنين .